تأمُّلاتٌ في قَوْلِهِ تعالى:

﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ...﴾

الشيخ حسين كاظم عبد الزيادي

استاذ في الحوزة العلمية - النجف الاشرف

فحوى البحث

يعرض سماحة الشيخ الباحث جزءاً من الاية الثانية عشرة من سورة يوسف وهو قول اخوة يوسف لابيهم (ارسله معنا غداً يرتع ويلعب)، فيخوض في تفسير هاتين الكلمتين لغةً وقصداً، استناداً الى اشهر المصادر اللغوية، ثم يعرض لاراء المفسرين والعلماء المسلمين في مسألة جواز وقوع (اللعب واللهو) على الانبياء و يناقش تلك الاراء مناقشة علمية وفقهية ليصل الى نتائج بالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

تمهيد:

لا يخفى على ذوي البصيرة أن سورة يوسف عليه السلام تضم بين جنباتها الكثير من الدروس والعبر والأحكام التي مازالت غائبة عن اذهان كثيرة من أهل العلم فضلاً عن غيرهم؛ وهذا ليس بالأمر المستغرب، بل هو من معاجز القرآن الكريم، الذي كلما تأملت في معنى من معانيه أعطاك وأعطاك إلى أن تقف عاجزاً متحيراً في أمر هذا الكتاب الشريف.

ففي ضمن هذا السياق وعند التأمل في قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[سورة يوسف: ١٢]، بالإمكان بيان -وبضم بعض الآيات القرآنية إلى بعضها في نفس هذه السورة وغيرها -أن المعنى الذي استفاده أهل التفسير ويكاد أن يكون موضع وفاق عندهم غير صحيح!.

والذي أجمع عليه الكثير من الأعلام في تفاسيرهم وتبعهم بعض الفقهاء على ذلك وإستناداً لهذه الآية وبعض النصوص هو جواز اللعب المباح والذي يُعد بمثابة حاجة فطرية للأطفال وبالتالي جعلوا هذا الأمر كقاعدة عامة -كبرى-وجعلوا نبي الله يوسف عليه السلام وغيره من الأولياء مصداقاً من مصاديقها -صغرى -التي تنطبق عليهم من دون إشكال ولا ضير في ذلك.

أقول: إن صحت وصدقت هذه الحاجة كعنوان على الأعم الأغلب من أفراد الجنس البشري، فإنها لا تجري على أولياء الله ممن اصطفاهم واجتباهم لدينه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وقبل مناقشة هذا الموضوع لابد أن نستعرض كلمات أهل اللغة والتفسير حول مفردتي (يرتع ويلعب) بشكل خاص، وجوّ الآية بشكل عام.

قرأ نافع، وأبو جعفر: [يرتع ويلعب] من فِعْل: ((ارتعى)) وبالياء في الفعلين.

وقرأهما ابن كثير: [نرتعِ ونلعب] من فِعْل ((ارتعى)) وبالنون في الفعلين.

وقرأهما أبو عمرو، وإبن عامر:

[نرتعْ ونلعب] من ((الرّتع)) وبالنون في الفعلين.

وقرأهما باقي القرّاء العشرة: [يرتع ويلعب] من ((الرّتع)) وبالياء في الفعلين.

وفي هذه القراءات تفنن وتكامل. يقال لغة: ((ارتعىَ)) أي: رعى كيف يشاء في سعة. ويقال: ((رتعت الماشية رتعاً)) أي: رعت كيف شاءت في خصبٍ وسعةٍ. ويقال: ((خرجنا نرتعُ ونلعبُ) أي: ننعمُ ونُحركُ أجسامنا باللعب النافع رياضةً لها.

((يرتع)): أي يتسع في خصب المأكل، مأخوذٌ من قول العرب ((رتع الإنسان أو البعير)) أي: أكل كيف شاء. وكُلُ مخصبٍ راتع.

((ويلعب)): أي: ويمارس رياضةً نافعةً في المراعي والهواء الطلق والأرض الواسعة، فالمراد باللعب هنا اللعبُ النافعُ المفيد، وهو يسرُ (يعقوب)عليه السلام، ويراه مطلوباً من مطالب تقوية الأجساد ونمائها وصحتها.

في هذه الآيات بيانُ ما يدلُّ على موافقة الأب ((يعقوب))عليه السلام، على أن يذهب أبناؤه العشرة بأخيهم يوسف معهم إلى المراعي ليرتع ويلعب كما طلبوا مُلحّين وعاتبين[1].

وذكر بعض المفسرين أن (يرتع): من الرتع، وهو الرعي، والأكل. يقال: رتع الإنسان والبعير: إذا أكلا كيف شاءا، وقرئ: (يرتعي) بإثبات الياء. (ويلعب) أي: ينشط بالركض والمسابقة، ورمي السهام، هذا؛ ويقرأ الفعلان بالنون أيضاً قراءتان سبعيتان، هذا؛ والرتع في الأصل: أكل البهائم في الخصب زمن الربيع، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير[2].

وذكر الموسوي في معنى (يرتع): أي يتسع في أكل ما لذّ وطاب، قال الراغب الرتع: حقيقته في أكل البهائم ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير[3].

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر، ص٦٢٤ و ص٦٣٠، مج١٠. للميداني.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ص٥٥١، مج٤، محمد علي الدرة.

(٣) الواضح في التفسير، ج٨، ص١٩٠، السيد عباس الموسوي.

وقال الفيض الكاشاني: (يرتع) يتسع في أكل الفواكه وغيرها من الرتعة وهي الخصب (ويلعب) بالاستباق بالأقدام والرّمي وقرئ يرتع من ارتعى، وبالكسر والياء فيه وفي يلعب وبالياء والسكون فيهما[٤].

وقال السيد شبر في تفسيره: (يرتع) ننعم ونأكل (ويلعب) بالرمي والاستباق، بالنون فيها وجزم العين لأبي عمرو وابن عامر وكذا ابن كثير لكن بكسرها من (ارتعى) كنافع بالياء فيها وبالياء والجزم للكوفيين[٥].

وأيضاً مما ذكره الجزائري بقوله: (يرتع): الرتع: التردد يميناً وشمالاً. أبو جعفر ونافع (يرتع ويلعب) بالياء فيهما وكسر العين من (يرتع). وابن كثير بالنون فيهما وكسر العين. وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وجزم العين. وأهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين[٦].

ثم قال: (يرتع): أي يتسع في أكل الفواكه وغيرها. وأصل الرتعة: الخصب والسعة.

فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب اللعب؟. قلت: كان لعبهم الاستباق في العدو والانتضال ليمرّنوا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدوّ لا لّلهو؛ بدليل قوله: ((إنا ذهبنا نستبق) وسموه لعباً لأنه في صورته.

ولعله قدس سره أخذ هذا المعنى من صاحب تفسير الكشاف، كما أخذ المعنى الأول في بيان معنى (يرتع) من صاحب مجمع البيان قدس سره.

واما السيد الطهراني فقد ذكر ما نصه: (يرتع ويلعب) وقرئ بالياء أي: نذهب ونجيء وننشط ونلهو والرتع هو التردد يميناً وشمالاً، وأرادوا اللعب المباح وقد روي انّ كلّ لعب حرام إلا ثلاثة: لعب الرجل بقوسه وفرسه

(٤) تفسير الصافي، ج٣، ص٧، الفيض الكاشاني.

(٥) الجوهر الثمين، ج٣، ص١٩٥، السيد عبد الله شبر.

(٦) عقود المرجان، مج٢، ص٤٩٥، السيد نعمة الله الجزائري.

وأهله[٧].

أقول: ان ما ذكره هذا السيد الجليل لا يخلو من إشكال إذ انه جعل من معاني (الرتع) اللهو؛ وهو غير صحيح فأحدهما غير الآخر لغةً، وايضاً يتنافى مع مقام يوسف عليه السلام عقيدةً؛ ولهذا ذكر السيد الجزائري أن هذا اللعب كان الاستباق للتمرين من أجل قتال الأعداء وليس للّهو، لينزه مقام الصدّيق عليه السلام ولكن أيضاً مما يرد على السيد الجزائري أنه لم ينزه مقام الصديق عليه السلام بل نزّه أخوته هذا أولاً.

وثانياً: أنه لا يوجد أي شاهد في الآية ولا في غيرها أن يوسف عليه السلام أشترك في هكذا نوع من اللعب.

وثالثاً: من الغريب استدلاله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ في بيان معنى المراد من لعبهم، وذلك لأن هذا قول اخوة يوسف وهو كذب محض، لأنهم لم يذهبوا لأجل اللعب وأيضاً لم يمارسوا اللعب في ذلك اليوم كما هو واضح.

والله عز وجل نقل قولهم وعذرهم غير الصحيح والواقعي امام نبي الله يعقوب عليه السلام.

- ومن الغريب أنه استدل برواية لا تنطبق على المقام؛ وذلك لما ذكرنا آنفاً من عدم ثبوت اللعب ليوسف عليه السلام ولو ثبت -كما هو المشهور -فالرواية تثبت أن نبي الله يوسف ارتكب الحرام -والعياذ بالله- لأنها حصرت اللعب المباح في هذه الثلاثة وجميعها لا تنطبق على لعب يوسف عليه السلام الذي ذكره أهل التفاسير من الطرفين!.

هذا وقد ذكر النهاوندي في معنى (يرتع ويلعب)، (يرتع) من الفواكه، ويأكل منها كثيراً (ويلعب) بالاستباق والتناضل، وغيرهما مما يناسب الصبيان[٨]. ومما ذكره أيضاً تحت عنوان قيل: لما رأى يعقوب إلحاح بنيه في إخراج يوسف معهم إلى الصحراء، ومبالغتهم بالعهد واليمين، ورأى ميل

(٧) مقتنيات الدرر، ج٦، ص١٣، السيد علي الحائري الطهراني.

(٨) نفحات الرحمن، ج٣، ص٧٣٠، الشيخ محمد بن عبد الرحيم النهاوندي.

يوسف إلى التفُرج والتفريح، رضي بالقضاء وأذن لهم في إخراجه معهم.

أقول: سيأتي بيان مواطن الخلل في مثل هذا الكلام ونحوه فيما يأتي، والظاهر أنه أخذ هذا القيل من تفسير روح البيان بفارق أنه ذكر التفريح بدلاً من التنزه، فلاحظ.

وأما السيد فضل الله فأنه ذكر معنى مختصراً لـ (يرتع) بقوله: أي يتنعم[٩].

وبحسب الطباطبائي فان: ((الرتع)) هو توسع الحيوان في الرعي والإنسان في التنزه وأكل الفواكه ونحو ذلك[١٠].

وقال صاحب الأمثل أن (يرتع) من مادة ((رتع)) على وزن ((قطع)) ومعناه في الأصل رعي الأغنامو الأنعام بصورة عامة من النباتات وشبعها منها، ولكن قد يطلق هذا اللفظ (رتع، يرتع) ويراد به تنزّه الإنسان وكثرة الأكل والشرب أيضاً[١١].

واما مفردة اللعب فقد ذكر صاحب مقاييس اللغة ابن فارس في لعب: كلمتان يتفرع كلمات. إحداهما-اللّعب المعروف. والتلعابة: الكثير اللعب. والملعب: مكان اللعب. واللَّعبة: اللون من اللعب. واللَّعبة: المرّة منها، إلا أنهم يقولون: لَمن اللُّعبة. ومُلاعِب ظله: طائر. والكلمة الأُخرى -اللُّعاب: ما يسيل من فم الصبي، ولعب الغلام يلعب: سال لُعابه، ولُعاب النحل: العسل. والعاب الشمس: السراب، وقيل هو الذي كأنّه نسج العنكبوت.

وقيل إنّ أصل الباب هو الذهاب من غير استقامة.

وأما الفيومي فقد قال في كتابه مصباح اللغة: لِعب يلعَب لعِباً، ويجوز تخفيفه بكسر اللام وسكون العين، قال ابن قتيبة: ولم يسمع في التخفيف فتح اللام مع السكون. واللُّعبة إسم منه، يقال: فرغ من لُعبته، وكل ما يُلعب به

(٩) من وحي القرآن، ج١٢، ص١٧٢، محمد حسين فضل الله.

(١٠) الميزان، ج١١، ص٩٧، محمد حسين الطباطبائي.

(١١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧، ص٩٦، ناصر مكارم الشيرازي.

فهو لُعبة، مثل الشطرنج والنرد، وهو حسن اللَّعبة، للحال والهيئة التي يكون الإنسان عليها. ولعب يلعب: سال لعابه من فمه.

وأما الراغب في مفرداته قال في (لعب): أصل الكلمة اللُّعاب وهو البُزاق السائل، وقد لَعب يلعَب. ولِعب فلان: إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، ورجل تلعابة: ذو تلعب. ولُعاب النحل للعسل. ولُعاب الشمس: ما يُرى في الجوّ كنسج العنكبوت.

وذكر ابن منظور في لسان العرب: اللّعِب واللَّعْب: ضد الجدِ، لعِب ولعَّب وتلاعب وتلعَّب، ويقال لكل من عمل عملاً لا يُجدي عليه نفعاً: إنما أنت لاعب.

والتّلعاب: اللعب، صيغة تدلّ على تكثير المصدر، كفّعل في الفعل على غالب الأمر.

والتحقيق[١٢]:

أن الأصل الواحد في المادة: هو قول أو عمل لا يقصد منه منظور مفيد عقلاً ولا يرغب إليه العاقل. وأما مفهوم اللُّعاب فمأخوذ من السريانية، مضافاً إلى مناسبة بين المعنيين: فإنّ البزاق السائل من الفم كعمل او كقول يظهر من دون جدّ وقصد وهو مما ليس فيه أثر مفيد.

وأما الهزء والسخر: فما لا يرغب إليه العاقل، ولا فائدة فيه. وهو من أظهر مصاديق اللعب، لما فيه من الضرر-والقبح أيضاً.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾-٩/ ٦٥.

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾-٤٣/ ٨٣.

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾-٦/ ٩١.

سبق أنّ الخوض عبارة عن الإنغماس في شيء فيه فساد وشرّ، فإذا كان الإنسان خائضاً ومنغمساً في اللعب ولا يرُى له جدّ في سيره، ولا استهداف وغرض في أعماله: فهو:

(١٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مج١٠، ص ٢١٨-٢١٩، المصطفوي.

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾- ٦/ ٣٢. من الأخسرين.

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾-٢٩/ ٦٤.

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾- ٤٧/ ٣٦.

* * * *

سبق في العبث أنّ اللهو ما يكون فيه تمايل، إلى شيء وتلذذ به من دون نظر إلى نتيجة، فاللهو فيه قيد زائد على اللعب وهو التمايل، فهو إنما يتأخر ويتحقق بعد استمرار اللعب.

وأما الآية الثانية: فالنظر فيها الى النتيجة الحاملة المنظورة من الحياة الدنيوية، فيقدم اللهو على اللعب، وهذا المعنى يدل عليه التعبير بقوله -هذه الحياة الدنيا.

ثم إن الحياة الدنيا هي ما تكون حياته مصروفة في الأمور الدنيوية المادية، وتكون أفكار الإنسانوأعماله وحركاته وحواسه مشغولة بذلك البرنامج، وهذا جريان محدود لا بقاء له ولا دوام.

أقول: هذا يؤيد ما ذكرناه في ردنا على السيد الجزائري بأن اللهو غير اللعب وإلا لما عطف القرآن بينهما.

فاللهو هو التشاغل، وفي الأغلب يستعمل للتشاغل بالدنيا عن الآخرة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾أي: إن الدنيا لهوٌ عن الآخرة، فهي ملهية وشاغلة للذهن وللجسم عن الطاعة. فاللهو هو التشاغل عن الهموم بالمؤنسات، أو التشاغل عن المصالح بالمفاسد والموبقات.

وقد يكون اللهو لهواً عن الآخرة، وقد يكون لهواً واشتغالاً عن المصالح الدنيوية، فنراه يتلهى بالقمار مثلاً عن عمله والكد على عياله. وعلى كل حال فاللهو يُراد به في الغالب نسيان المصاعب وتناسيها والخلود إلى الراحة[١٣].

والمتتبع للقرآن الكريم يجد التشنيع المرّكز الخطير على الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، لأن الدين ليس مورداً لهما لا

(١٣) منة المنان في الدفاع عن القرآن، ج٥، ص١٥٢، محمد الصدر.

من قريب ولا من بعيد.

أقول: إلى هنا تحصل عندنا من مجموع هذه الكلمات أن (الرتع) بالأصل مجعول للحيوانات واستخدم من باب الاستعارة في الإنسان، وبهذا يكون من المستبعد جداً رغبة يوسف الصديق عليه السلام في هكذا عنوان هذا أولاً.

وثانياً: خصوصاً إذا بنينا على المبنى القائل بعدم وجود استعارات في كلام المولى عز وجل فيرجع المعنى إلى معناه الأصلي الذي وضع له وهو في البهائم خاصة وهو ما يتناسب مع أخوة يوسف في تلك الفترة ويجل مقام الصدِّيق حتى وإن كان في طفولته من الخوض في هكذا عناوين!.

ثالثاً: إن في تعريفاتهم في مادة (رتع) الكثير من التشويش والتخبط، والذي يجل عنه مقام الصدّيق عليه السلام وهو محط الرعاية الإلهية من قبل أن يُخلق.

فقد تبين مما مرّ من معاني (يرتع) هو الأكل الكثير بالنسبة للإنسان، فبالله عليك هل ينطبق هذا المعنى على يوسف عليه السلام وهو الطفل الصغير المؤدب بأدب النبوة؟. وهل يُعقل أن يقبل يعقوب عليه السلام بطلب أبنائه بأخذ قرة عينه يوسف لأجل هذا الشيء الذي هو من مختصات أهل الدنيا؟!.

ثم أي فاكهة التي يتكلمون عنها مع أنهم يقولون أنها صحراء واسعة -أي صحراء كنعان -وكانت كثيرة الذئاب الخ...

وعليه فالقبول بهذا المعنى هو ظلم لنبيين من أنبياء الله عز وجل يعقوب ويوسف عليهما السلام. هذا فيما يخص الفعل ((يرتع)) وقد نزهنا يوسف عنه كذلك قبول يعقوب وموافقته على هذا العنوان والفعل.

وأما ما يخص العنوان الثاني وهو (اللعب) فلنشرع بذكر بعض الأقوال للمفسرين في هذا الصدد، ومن ثم بيان ما يمكن إيراده عليها.

ولنبدأ بتفسير الأمثل حيث ذكر: ((تعال يا أبانا وارفع اليد عن اتهامنا فإنه اخونا وما يزال صبياً وبحاجة إلى اللهو واللعب، وليس من الصحيح حبسه عندك في البيت، فخل سبيله

(أرسله معنا غداً يرتع ويلعب)[١٤].

ثم كتب عنواناً مفاده (حاجة الإنسان الفطرية والطبيعية إلى التنزه والارتياح) قال فيه: من الطريف أن يعقوب عليه السلام لم يردّ على كلام أخوة يوسف واستدلالهم على انه بحاجة إلى التنزه والارتياح، بل وافق على ذلك عملياً، وهذا دليل كاف على أن أي عقل سليم لا يستطيع ان ينكر هذه الحاجة الفطرية والطبيعية... فالإنسان ليس آلة تستعمل في

أي وقت كان وكيف كان، بل له روح ونفس ينالهما التعب والنصب كما ينالان الجسم. فكما أن الجسم يحتاج إلى الراحة والنوم، كذلك الروح والنفس بحاجة إلى التنزه والارتياح السليم.

التجربة -ايضاً -تدل على ان الإنسان كلما واصل عمله بشكل رتيب، فانّ مردود هذا العمل سيقل تدريجياً نتيجة ضعف النشاط، وعلى العكس من ذلك فإنّ الاستراحة لعدة ساعات تبعث في الجسم نشاطاً جديداً بحيث تزداد كمية العمل وكيفيته معاً، ولذلك فإن الساعات التي تصرف في الراحة والتنزه تكون عوناً على العمل ايضاً.

وفي الروايات الإسلامية نجد هذه الواقعية بأسلوب طريف جاء بمثابة ((القانون)) حيث يقول الإمام علي عليه السلام: ((للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرمّ معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحلّ ويجمل)).

ومما يستجلب النظر أنّ في بعض الروايات الإسلامية أضيفت هذه الجملة إلى النص المتقدم ((وذلك عون على سائر الساعات)).

وعلى حدّ تعبير البعض فإنّ التنزه والارتياح بمثابة تدهين وتنظيف اجهزة السيارة، فلو توقفت هذه السيارة ساعة عن العمل لمراقبة أجهزتها وتنظيفها، فإنها ستغدو اكثر قوة ونشاطاً يُعوض عن زمن توقفها أضعاف المرات، كما انه سيزيد من عمر السيارة ايضاً.

لكن المهم ان يكون هذا التنزه صحيحاً، وإلا فإنه لا يحل المشكلة بل

(١٤) الأمثل، ج٧، ص٩٦، الشيرازي.

سيزيدها، فأنّ كثيراً من حالات التنزه هذه تدمر الإنسان وتسلب منه نشاطه وقدرته على العمل لفترة ما، أو على الأقل تخفف من نشاط عمله.

وهناك نقطة تدعو للالتفات ايضاً، وهي أن الإسلام أهتم بمسألة الترويض والاستراحة النفسية بحيث أجاز المسابقات في هذا المضمار: ويحدثنا التاريخ ان قسماً من هذه المسابقات جرت بمرأى من رسول الله ﷺ، وأحيانا كانت تناط به مهمة التحكيم والقضاء في هذه المسابقة، وربما أعطى ناقته الخاصة -لبعض الصحابة للتسابق عليها.

ففي رواية الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أن النبي أجرى الأبل مقبلة من تبوك فسبقت العضباء وعليها أسامة، فجعل الناس: يقولون سبق رسول الله ورسول الله يقول: سبق اسامة[١٥].

(إشارة إلى أن المهم في السبق هو الراكب لا المركب، حتى وإن كان المركب السابق عند من لا يجيدون السبق).

النقطة الأخرى هي انه كما ان أخوة يوسف استغلوا علاقة الإنسان-ولا سيما الشاب -بالتنزه واللعب من أجل الوصول إلى هدفهم الغادر... ففي حياتنا المعاصرة -أيضاً نجد أعداء الحق والعدالة يستغلون مسألة الرياضة واللعب في سبيل تلويث أفكار الشباب فينبغي ان نحذر المستكبرين (الذئاب) الذين يخططون لإضلال الشباب وحرفهم عن رسالتهم تحت اسم الرياضة والمسابقات المحلية والعالمية[١٦].

ثانياً: قال صاحب تفسير النور: إنّ الأطفالوالأحداث، بل الإنسان بشكل عام، بحاجة إلى الاستراحة والرياضة والتسلية؛ فهذه الآية الشريفة تُبين أنّ السبب المنطقي الذي حدا ليعقوب عليه السلام إلى القبول بخروج يوسف عليه السلام مع إخوته، هو حاجة يوسف إلى اللعب واللهو والتسلية.

وقد ذكرت الروايات أنّه لابدّ للمؤمن من أن يخصص جزءاً من وقته

(١٥) سفينة البحار، مج١، ص٥٩٦.

(١٦) الأمثل: ج٧، ص٩٩ -١٠٠. الشيرازي.

للراحة والترفيه والتمتّع بما أحل الله له من الملذات لكي يقوى على أداء سائر أعماله الأخرى.

ما زال الشباب يُصرفون عن أهدافهم الحقيقية ويُحرص على إبقائهم غافلين عن واجباتهم، باسم الرياضة واللعب واللهو، سواء في الماضي أو الحاضر أو المُستقبل. لابدّ من التعامل مع اللعب والرياضة بجدّ لكيّ نحصل على كل ما هو جدّي منها كذلك.

يحاول المستكبرون والمتآمرون تنفيذ أغراضهم الدنيئة باستغلال اسم الرياضة أو مسمّى جميل آخر، وباسم الدبلوماسية يُرسلون الينا الجواسيس الخطرين، ويحيكون الدسائس لمعرفة أسرارنا العسكرية تحت مسمّى المستشار العسكري، وباسم حقوق الإنسان يدافعون عن عملائهم وأزلامهم؛ وباسم الطب والدواء يشحنون الأسلحة الفتاكة إلى صنائعهم وعملائهم؛ وبإسم المختصين الاقتصاديين يعملون على إبقاء الدول الضعيفة على ضعفها ويعملون على إنهاكها؛ وبإسم رش المبيدات يفتكون بالمزارع ويستأصلون الغابات والأحراش؛ وبإسم الدراسات الإسلامية يُحاولون تشويه الإسلام وتقديمه بشكل مغاير[١٧].

وقد ذكر تحت عنوان التعاليم في النقطة الثانية قال: لقد استخدم أخوة يوسف عليه السلام عذراً مشروعاً ومنطقياً لخداع أبيهم (أرسله... يرتع ويلعب). وفي النقطة الثالثة: إذا كان لدى الآباء والمُعلمين الحريصين والمخلصين برنامج مناسب لأوقات الفراغ واللعب والتسلية خاص بالأطفال والشباب، فلن يكون باستطاعة الآخرين الاصطياد في الماء العكر، فأخوة يوسف استغلوا حاجة أخيهم إلى اللعب والرياضة)[١٨].

ومما ذكره صاحب الواضح في التفسير في تفسير هذه الآية حيث قال: نحن غداً سنخرج إلى البرية: إلى حيث عملنا في حفظ أرزاقنا من أغنام ومواشي وإلى حيث نقيم لأداء رياضة

(١٧) تفسير النور، ج٤، ص١٦٣ -١٦٤، الشيخ محسن قراءتي.
(١٨) نفس المصدر.

تساعدنا على أثبات وجودنا عندما نحتاج إليها في مواجهة أعدائنا، نحن غداً سنخرج فأرسل يا أبانا معنا أخانا يوسف يتمتع بالهواء العليل والطبيعة الخلابة والثمار والفواكه الطيبة ويلعب حيث هناك متسع كبير لأداء كل أنواع الرياضات[١٩]..

وقال السيد فضل الله في هذه الآية: لأن من حق الشاب ان يمارس مع الشباب اللهو واللعب والانطلاق في الهواء الطلق، لتتفتح روحه، وتصفو أفكاره، وترتاح مشاعره، لأن لكل مرحلة من مراحل العمر حقها في التنفس والانطلاق... وكيف يمكن ان يضل معك محبوساً في دائرة الالتزامات الاجتماعية التي يلتزم بها الشيوخ في تقاليدهم وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية[٢٠]!؟.

طبعاً هنا السيد يتكلم بلسان أخوة يوسف مع أبيهم.

وأيضاً يذكر أحمد المهري: إن الرحلات السياحية قديماً رحلات سباق وصيد وخاصة بين الشبان، فلم يحن بعد الوقت الذي يلتحق فيه الأخ الصغير بمجموعة الفتيان الأقوياء من أهله. فقالوا لأبيهم: أنت تعرف بأننا نحب أخانا ونحب أن يشاركنا في رحلاتنا، وسوف نخصص يوم غد للهو والرتع دون السباق والصيد، فلم لا توافق على أن يرافقنا ليلهو ويأكل من صيدنا في أجواء أراضي البلد الذي عاشوا فيه[٢١]؟.

وقال بعضهم: ورد في قصة يوسف عليه السلام إن إخوته -وفي سبيل إحكام خطتهم لإبعاد يوسف عن أبيه -قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ظاهر الآية يحكي عن حياة يوسف، ومكر أخوته لإبعاده عن أبيه، في حين أن هناك عبرة يمكن استخلاصها من هذه القصة وهي: أنّ المخالفين

(١٩) الواضح في التفسير، ج٨، ص١٩٢، السيد عباس علي الموسوي.
(٢٠) من وحي القرآن، ج١٢، ١٧٤. محمد حسين فضل الله.
(٢١) الصدّيق يوسف من غيابت الجب إلى قيادة مصر، ص٣٢، أحمد الفهري.

لطريق الهداية، يحاولون أن يسرقوا أولادكم بحجة اللعب والقضايا المادية؛ فلابدّ أن تحذروا من ذلك. وهذه المسألة يمكن تطبيقها في كل وقت، بعد إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والأفراد المذكورين في القصة واستخراج قاعدة كلية، وعبرة تصلح للجميع، ويمكن أن نجد لهذه القصة مصاديق كثيرة في الوقت الحاضر فالمستعمرون، وعن طريق استخدام طرق متعددة، من اللعب، يسعون إلى فصل جيل الشباب عن أمتهم، والقائهم في التيه والضياع[٢٢]...

أقول المتابع لقصة يوسف في القرآن والروايات يلاحظ أن جميع من أحبوا يوسف عليه السلام كانوا سبباً في بلائه ووقوعه في المشاكل وبالتالي وقوع الظلم عليه؛ والظاهر أن هذا الأمر ما زال قائماً، فما لا شك فيه أنّ هؤلاء الأعلام ممن يحبون يوسف عليه السلام ولكنهم بهذا التفسير لهذه الآية قد ظلموا يوسف عليه السلام بنسبته للميل الى اللعب واللهو ونحو ذلك، مما ولدّ قناعة عند الجميع بأن هذا التفسير من الأمور المسلّمة والمتفق عليها كما ذكرنا في مقدمة هذا البحث؛ وذكرنا بأنّ هذا الأمر غير صحيح بالمرة وذلك:

١. لأن اللعب يؤدي إلى الضياع والغفلة ولو بأدنى درجاته، وهذا ما أكده النبي يعقوب عليه السلام بقوله ﴿ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾لا لأنهم يلهون ويلعبون في ذلك اليوم، بل لأنهم هكذا واقعاً، وإلا فإنهم ذلك اليوم وبمناسبات الحكم والموضوع وسياق القصة، لم يقوموا باللهو واللعب وانما كان جلّ اهتمامهم على تنفيذ المكيدة كما هو واضح، وانما هم غافلون عن آية الله ومرآة جماله يوسف الصديق، لأنهم من أهل الرتع واللعب، وهم أقروا أمام إمام زمانهم في وقته وهو يعقوب عليه السلام بأنهم من أهلها -أي الرتع واللعب-حقيقة لا استعارة.

(٢٢) مناهج التفسير واتجاهاته، ص٢٨٣، د. محمد علي الرضائي الاصفهاني.

فإن قلت: فلماذا وافق النبي يعقوب عليه السلام على طلبهم وأرسل يوسف معهم.

قلت: وذلك لأنه عليه السلام عمل بمقتضى تكليفه الإلهي المشابه لأمر إبراهيم عليه السلام من ذبح ولده إسماعيل، وكان يوسف على دراية بهذا التكليف فلا بد أن يمتثل لهذا التكليف لأن يوسف يمرّ بنشوة من انتظار النبوة ويعرف بأن إخوانه مشغولون بالصيد والسباق والرعي وكل شيء إلا العلم وكسب الفضائل، ولن يقدّر الله النبوة للاعبين، إنه يعرف بأنه هو بنفسه أكثرهم اهتماماً برسالة السماء وأعلاهم لياقة لأن يتعلم أصول النبوة والكتاب.

ولن يتحقق هذا الأمر إلا من هذا الطريق الذي اعتبره الأخوة لهواً ولعباً؛ ليحصل على الدرجات التي لا ينالها إلا بهذا الابتلاء. كما ورد بحق الحسين عليه السلام ((أن لك درجات لا تنالها إلا بالشهادة)).

وحين انقطعت على يوسف عليه السلام مراعاة أبيه حصل له الوحيُ من قبل مولاه، وكذا سنته تعالى أنه لا يفتح على نفوس أوليائه باباً من البلاء إلا فتح على قلوبهم أبواب الصفاء، وفنون لطائف الولاء.

٢. قد ثبت عندنا إن من إحدى علامات الإمام أنه لا يلهو ولا يلعب. فقد روى صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام، في ما يخص بعض صفات الإمام: ((الإمام لا يلهو، ولا يشغل وقته باللعب والمرح))، في حين وجدت رواية أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد كان طفلاً، قد أخذ بعنزة مكية، وكان يقول لها: ((اسجدي لربك))، فأخذه الإمام الصادق عليه السلام وضّمه إلى صدره، وقال: ((بأبي وأمي مَنْ لا يلهو ولا يلعب))[٢٣].

وفي رواية أخرى: إنه بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام أتى جمع من الناس، كان من بينهم علي بن حسان الواسطي، أرادوا بزيارتهم

(٢٣) الأصول من الكافي ١: ٣١١، ح١٥.

امتحان الإمام، وكان الواسطي قد أحضر معه العاباً فضية قدّمها هدية للإمام الجواد(عليه السلام)، وكان طفلاً، يقول الواسطي نفسه: إن الإمام غضب لذلك أشد الغضب، وأخذ يقلب تلك الألعاب يميناً وشمالاً، وقال: ((إن الله لم يخلقنا لهذا)). وقد الححت عليه في طلب العفو والسماح كثيراً وما فارقته إلا بعد أن عفا عني وسامحني، فقام وأغلق بابه، فأخذت تلك الألعاب ورحلت))[٢٤].

فإن قلت: انه ورد في بعض الروايات بعض المعصومين(عليهم السلام) كانوا يلعبون في صغرهم، ومن هنا استند الدكتور علي رضا باريكلو إلى جعل اللعب حقاً من حقوق الأطفال الثابتة، بقوله: لم يكتف النبي الأعظم ببيان أهمية اللعب للطفل بصورة نظرية، بل كان(صلى الله عليه وآله) يقوم بذلك عملياً، فكان يركب حفيديه الحسن والحسين(عليهما السلام) على عاتقه ويلّعبهما، فكانا يقولان: نِعمَ المركوب، وكان يجيبهما(صلى الله عليه وآله) ونِعمَ الراكبان[٢٥].

قلت: الروايات المشار اليها محلّ إشكال عندنا دلالةً وسنداً، فإن المعصوم حتى ولو كان صغيراً؛ إذ أنه لا يختلف حال صغره عن حال كبره في كمالاته الوجودية وصفاته الجمالية والجلالية[٢٦].

ومن هذه الروايات: (أن الحجة (عجل الله فرجه)، كان يلعب بأصابع أبيه، فكان يمنعه بذلك من الكتابة)). وهذا القول غير مقبول في حق خاتم الأوصياء، ولا يجوز نسبته إليه.

ويظهر من هذه الرواية أن الإمام العسكري(عليه السلام) قد جعل لعبة ابنه كرةً ذهبية مرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة، في حين أن سيرة الأئمة الأطهار أنهم لم يكونوا أهل الدنيا، ولا ممّن يعيشون حياة الترف والغنى، فكيف يعقل أن تكون لعبة من ذلك النوع

(٢٤) دلائل الإمامة: ٢١٢ -٢١٣.

(٢٥) ناسخ التواريخ: ٧١، الميرزا محمد تقي.

(٢٦) أجوبة المسائل، ص٧٩. محمد صادق الروحاني.

وبتلك القيمة[٢٧].

يعني أن الأئمة ومن قبلهم الأنبياء منتخبون من لدن الله تعالى، ودلت روايات من النبي الأكرمﷺ على هذا، مما يعني أن لدى الأئمة والأنبياء الاطلاع والعلم الكامل بشؤون الأمة وسياستها؛ وما يوسف الصدّيقعليه السلام إلا غصن من أغصان شجرة النبوة ومعدن الطهارة، والذي يجري بحق آبائه من أحكام ومنها التنزه عن اللهو واللعب في أيام صغرهم، يجري في حقه كذلك وهذا يجب أن يكون واضحاً، وعلينا أن لا نتماشى مع مقولة أخوة يوسف ونصدقها، ونبين استنتاجاتنا وتفسيراتنا عليها.

وأن الذي ذكره بعض الأعلام من موعظة وعبرة فيما تقدم لابأس به وحري بالتدبر، لكنه غريب عن فحوى الآية ولا مساس له بها:

وكما أن بعض الاستظهارات ما هي إلا إسقاط لنتائج البحث الفقهي وتحميله على معنى الآية.

٣. أن الحالة التي جعلوها مناسبة للفطرة والطبيعة الطفولية وهي اللعب لا تجري على الذوات الطاهرة من الأنبياء والأئمة بل وحتى بعض الأولياء والعباقرة.

ففي صحيحة الحلبي عن أبي عبد اللهعليه السلام عن أبيه قال: إنا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين الحديث[٢٨].

فمن هذه الرواية وغيرها نستشف أن قابلية صبيان الأئمة تختلف عن صبيان غيرهم، والمراد من الصبيان غير المعصوم بطبيعة الحال فالمعصوم لا يحتاج إلى أمر لا بالصلاة ولا بغيرها لأنه زق العلم زقاً وهو في أول ساعات نزوله لهذا العالم.

ومن ذكريات الطفولة في حياة السيدة زينبعليها السلام نقرأ في كتب التاريخ أنها سألت أباها ذات يوم أتحبنا يا أبتاه؟.

(٢٧) مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد، ١٨، ص٢٣٥، عبد المهدي جلالي.

(٢٨) الوسائل ج٣، ب٣ من أبواب إعداد الفرائض.

فقال الإمام: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي؟.

فقالت يا أبتاه، إن الحبّ لله تعالى، والشفقة لنا)).

٤. ما ذكره بعض العلماء فيما تقدم من أن أبناء يعقوب خدعوه؛ ظلم بحق نبي من أنبياء الله فالأنبياء لا يمكن خداعهم لا من القريب ولا من البعيد، لأنهم مُسددون من المولى عز وجل. وغير ذلك من الملاحظات التي لا تتسع هذه الأوراق لها.

وفي نهاية هذا البحث أقول: أنه ينبغي أن ننزه الأنبياء والأولياء وفق العقيدة الصحيحة وضمن إطارها الصحيح، وذلك من خلال متابعة جذورها وأسسها في الآيات الشريفة والروايات المباركة عن أهل بيت العصمة والطهارة، حتى نحافظ ونتعرف على تلك الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة والتي لم تنجسها الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسها المدلهمات من ثيابها. وملاحظة أن كل أفعال الأنبياء والأوصياء تجري وفق حركة غيبية ومخطط إلهي متقن لا سطحي ولاساذج وإن كان بظاهره للوهلة الأولى -كذلك، ولكن بإمعان النظر والتدبر والتعمق سوف يتضح غير ذلك تماماً. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وصلَ اللهم على الهداة المهديين محمد، وآله الطاهرين.